النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٩٨٨/٤
الأحد ٢٥ كانون الثاني
أبونا الجليل في القديسين غريغوريوس
اللاهوتي رئيس أساقفة القسطنطينية
اللحن السابع
إنجيل السحر العاشر

الـــرســـالـــة (عبرانيين ٧: ٢٦-٢٨ و ٨: ١-٢)
الإنـــجـــيـــل (لـــوقـــا ١٩: ١ - ١٠)

+القديس أفرام السرياني

دعي القديس أفرام قديسا فيما كان لا يزال على قيد الحياة، من قبل القديس غريغوريـــوس النيصصي، بسبب قداسة سيرته التي فاح عطرها قبل مماته.

اسمه معناه ''الخصب''. ولد عام ٣٠٣ في مدينة نصيبين على ضفاف نـــهر دجلـــة. طرده أبوه من البيت عندما شعر بميله الى المسيحية، فلجأ الى أسقف المدينة الـــذي أنشـــأه علـــى الإيمان المسيحي. إلا انه، أثناء شبابه، كان يتباهى بفكره ويجاهر بأن لا شأن للعناية الإلهية فـــي تدبير الكون، الى ان تسبب اتهامه بجرم إضاعة قطيع ماشية بسجنه وهو براء من التهمة. وفيمـــا هو يندب لا عدالة الله نظرا للظلم الذي هو فيه، جاءه في الحلم صوت يقول له انه، اذا كان بريئـــا من هذا الجرم، فهو ليس بريئا من غيره. عندها، تذكر أفرام بقرة كان قد طاردها فدخلت في حقله وافترستها الوحوش، وهو سكت عن الإعتراف بالأمر. فعرف الشاب ذنبه وطلب المغفـــرة مـــن الرب بدموع واعدا أياه بسيرة صالحة. بعد ذلك، أطلق سراحه فاعتمد وصـــار مســـيحيا. إلا ان التفكير بعدالة الله وبضعفه هو دفع به إلى الزهد في القفار، فصار معلما للتائبين، مظـــهرا عمـــق

شعوره بالتوبة في الصلاة التي تنسب اليه والتي نتلوها على مدى أيام الصوم الكبير: ''أيها الرب وسيد حياتي...''. الغريب في الأمر انه نسك وهو لا يزال في عمر الثامنة عشرة.

كان نسكه شديدا: نوم على الأرض وصوم لأيام كاملة وسهر في الصلاة وتعب في النهار. حفظ كتاب المزامير بأكمله على عادة رهبان تلك الديار، وكان يوزع الفائض عن حاجته على الفقراء. هذا واضح في إعلانه قبل مماته انه لم يمتلك شيئا ، طاعة لوصية الرب الى تلاميذه بأن لا يمتلكوا شيئا.

كان القديس أفرام بطبعه مائلا الى الغضب، لكنه، بنعمة الله والجهد المتواصل، حصل على الوداعة حتى أطلق عليه لقب ''رجل الله الوديع المسالم''. هذا الإنتباه الدائم الى الصحو الداخلي جعله يصرح انه في حياته لم يغضب الله ولا أساء الى مؤمن. وعندما كان يأتيه أحد الخطأة، لم يكن يلجأ الى البكاء والاستعطاف من أجلهم، مما اكسبه عطية الدموع التي قيل إنها لم تجف في عينيه ليل نهار. طهارته النفسية والجسدية دفعت القديس غريغوريوس النيصصي الى القول انها فاقت كل ما وصل اليه غيره.

اعتبر افرام نفسه أشقى الناس، فكان يتألم من المديح لدرجة أنه كان يتصبب عرقا ويصمت من الحياء. هذا كان واضحا في وصيته الى تلاميذه بأن لا يرنموا ترانيم الجناز ولا يمدحوه ولا يلبسوه ملابس فاخرة بل ان يدفنوه في مقبرة الغرباء ''لأني هكذا اتفقت مع الله'' كما قال.

لكن هذه الحرارة لن تنج من حسد الرهبان الفاترين له فاضطهدوه بالرغم من ثقة أسقفة الذي سلمه رئاسة المدرسة اللاهوتية في نصيبين وقد تركها، بعد سقوطها في يد الفرس، الى مدينة الرها على طريق انطاكية – الهند حيث أقام حتى مماته عام ٣٧٣ (وربما عام ٣٧٨) كما تقول بعض المصادر. ومعروف عن القديس افرام حادثة جرت له إبان صلاته الى الله ان يصادف من يتحدث اليه للمنفعة فيما هو داخل الى الرها. هناك، التقى بامرأة هوى، فعنفها لأنها تجرأت ان تنظر اليه. فما كان من المرأة الا ان عنفته بدورها لعدم تحديقه في الأرض التي خرج منها عوض تحديقه في الوجه، لكونه راهبا. عندها ندم ومجد الله لأنه استجاب لطلبه شاكرا المرأة ومنصرفا عنها. حادث شبيه وقع له مع امرأة تسكن بجواره . هذه راودته عن نفسها، فقبل بشرط أن يتم فعلها معه في وسط المدينة . ولما اعترضت مخافة مراقبة الناس لهما، قال لها: '' تخجلين من الناس ولا تخافين الله الذي يرى ما نعمل؟'' فخافت المرأة وتابت وقيل أنها ترهبت.

قيل ان افرام أسس ديرا في تلك النواحي ومدرسة لاهوتية اشتهرت كثيرا. اشتهر القديس افرام بالوعظ والتعليم. أتقن التأمل في الكتاب المقدس الذي انشغل به فنفذ الى معانيه. شرح الكتاب كله واستزاد من كتابات الآباء. كتب باللغة السريانية بطواعية سلسة والهام دافق لدرجة ان القديس غريغوريوس نقل عنه طلبا غريبا الى الله: ان يهدئ عنه أمواج نعمته . كانت عباراته واضحة وشفافة في الوعظ كما في الكلام المكتوب مما جعل كلامه ينفذ الى قلب سامعيه.

الى ذلك، كتب شعرا روحيا يعد من أرقى الكتابات وأعذبها. كذلك عكف على دراسة العقائد بدقة، فدحض بدعة آريوس وغيرها وهدى الكثير من الهراطقة.

تقول سيرته انه كان شماسا، فيما بلوغه الى درجة الكهنوت غير مؤكد ، وقيل انه اختـــير للأسقفية فارتاع وتظاهر بالجنون لكي يتركوه. وهناك من يقول انه التقى القديس باسيليوس الكبير إثر رؤيا، وقد أعطاه، بنعمة الله ، ان يتكلم اليونانية بطلاقة ورسمه كاهنا. ونقـــل عنـــه القديـــس غريغوريوس انه شاهد حمامة على كتف القديس باسيليوس تملي عليه التعاليم لينقلها بـــدوره الـــى الشعب.

أضافة الى كل هذا، اتصف افرام بمحبته للقريب، فوزع القمح عل الفقراء إبـــان مجاعـــة حصلت في الرها وقيل انه انشأ مستشفى كبيرا لمعاينة المصابين. عزى الغرباء والمساكين بأقواله وحث الأغنياء على إعانة المعوزين.

ترك القديس افرام نتاجا ضخما كتب بلغة شاعرية ولم يصلنا منه الا جزء ضئيل. كتابتـــه تحتوي على التفاسير الكتابية ومقالات ضد الهراطقة واناشيد عن الفـــردوس والبتوليـــة والإيمـــان والأسرار والأعياد. وقد شهد بعض الآباء ان شروحه كانت تقرأ في الكنيسة بعد تـــلاوة الكتـــاب المقدس. هذا جعل الكنيسة تطلق عليه لقب ''قيثارة الروح القدس''.

قداسته فاحت الى درجة ان سكان الرها عيدوا له كقديس بعد موته مباشرة، فالقديس هو من يعلن قداسته الشعب المؤمن بالروح. تعيد له كنيستنا في ٢٨ كانون الثاني. ارحمنا اللهم بشفاعته وخلصنا.

+العبادة المسيحية

مميزات الليتورجيا:

+ الطقوس والرموز: العبادة ليست كلمات وحسب بل تشمل بالإضافـــة الـــى الصلـــوات والتراتيل والقراءات الكتابية عددا كبيرا من الطقوس والرموز والحركات الليتورجيـــة والزياحـــات نذكر منها: طقس التغطيس في المعمودية، الإتجاه نحو الغرب لرفض الشيطان ونحو الشرق لقبول المسيح ، الشموع والبخور، السجود أثناء الصلاة، زياح العرس، زياح الشعانين، الدخول الصغـــير او الكبير في القداس الإلهي إلخ... لقد اعتمدت الكنيسة الطقوس والرموز للتعبير عن حضـــور الله الفاعل بيننا وارتباطنا به، لأن العبادة الأرثوذكسية تحاول ان تشرك فيها الإنســـان بكليتـــه عقـــلا ومشاعر وأحاسيس.

إذا كانت العبادة صيغة دينية هدفها الوصول الى العلي، الا أنها بشرية في نفـــس الوقـــت، تحاكي البشر لترفعهم الى فوق. إحدى الظواهر الأساسية في تاريخ الإنسان هي اعتماده الطقـــوس

في أحداث حياته المختلفة: الولادة، الموت، الزواج إلخ...لكن هذه الطقوس لا تقدس الأحداث بل تجد معناها في الحدث والحدث يقدسها. الإنسان البدائي اعتبر الحياة مقدسة وآمن بقوة عظمى تديرها ، لذلك تشكل الطقوس حاجة الإنسان لرد الأحداث الكبيرة في حياته الى قوة اعظم منه يشعر انه معتمد عليها. فلأنه خاف الرعد مثلا أوجد طقس رقصة المطر. الطقوس تساعد الإنسان للاتجاه الى فوق، لكنها تتطلب منه الإشتراك فيها بكل كيانه. الديانات القديمة تركزت حول الطقوس: حركات ، إشارات، رموز، أغان ورقصات، وكلها تعبر عن الحقيقة التي تؤمن بها. الطقوس وسائل تعبير عن عبادة شعر الإنسان بضرورتها.

الإنسان حسي، جسد وروح هو، من الأرض جبل ''ومن أرضه المنظورة والملموسة بواسطة حواسه اولا ينطلق الى غير المنظور''.

من يقرأ العهد القديم يلاحظ الطقوس المختلفة المستعملة في العبادة كطقوس التطهير والغسل والختانة وخاصة الطقوس المتعلقة بالفصح، العبور، والتي طبقها الرب يسوع ليلة تسليمه للصلب.

المسيحية محورها الإله المتجسد الذي عاش في زمن معين ومكان معين وقدم الخلاص للبشر، أي دخل في علاقة مع الشعب الجديد الذي أسسه إنطلاقا من حدث تاريخي. ''لأن الله قد تجسد فالطقوس في الكنيسة لم تعد مجرد ظاهرة طبيعية او تضرعات الى الله بأشكال مختلفة، بل أصبحت تنقل شيئا، تشهد ، تهيئ لشيء وتقمه، تروي لنا اولا ذلك التجسد وكل عملية الفداء والخلاص ، ولكن لا ترويه فقط بل تضعه أمامنا في حقيقته الأبدية، مستحضرة إياه في الزمن... من خلالها يحضر المسيح حقيقة وهو غير منظور''. اذا الطقوس تضع أمامنا الأحداث الخلاصية لنحياها.

ما يجب التشديد عليه هو ضرورة ان يحيا الإنسان هذه الطقوس في قلبه والا صارت قوالب متحجرة لا تقوده الى أي مكان، بل تغرقه في الوثينة والشكلية. مثالنا على ذلك طقس زياح الشعانين مع ما يرافقه اليوم من أمور دنيوية لا علاقة لها بالعبادة ، إذ يهتم الناس بملابس اولادهم وشموعهم وما يسمونه ''الدورة'' متناسين ان زياح الشعانين هو دخول الرب الى اورشليم. فإن لم نع هذه الحقيقة ونحياها يبقى الزياح مجرد مهرجان شعبي ولا نصل الى الهدف المرجو وهو الدخول مع يسوع الى اورشليم لكي نحيا الآلام المقدسة ونشهد للقيامة ونشترك فيها. كذلك فإن الهجمة ليست مجرد ''طرق'' على الباب وهز الثريات بل تصوير رمزي للقيامة التي حطم عبرها الرب يسوع أبواب الجحيم ''وتزلزلت الأرض وتشققت الصخور وتفتحت القبور'' (متى ٢٧: ٥١ -٥٢). عبر الهجمة نعلن ايماننا بالقيامة ونسر ونبتهج بها.

وظيفة الطقوس التقديسية هي منح نعمة الرب ونشرها في الكون لكي تتقدس بها الطبيعة شيئاً فشيئاً فتتحول من جديد الى الله بالمسيح ''الذي منه جميع الأشياء ونحن له'' (١ كو ٨: ٦). الطقوس تشكّل الوسيلة والمرقاة التي نبلغ بها شخصياً وقلبياً الى معرفة الله والإتحاد به.

+تأمل

كم هي رحمات الله عظيمة على الإنسان: فلحظة يتوقف فيها الإنسان عن الخطيئة، ويتضع امام الله، فإن السيد يسامحه عن كل خطيئة ارتكبها ويمنحه نعمة الروح القدس والقدرة على قهر الخطيئة والتغلب عليها.

هاكم العجب: الإنسان يحتقر أخاه الإنسان عندما يكون فقيرا أو قذرا أو رث الثياب، لكن السيد يسامحنا على كل شيء كمثل أم رؤوم بالنسبة لأبنها. انه لا يقصي أي خاطئ ، بل يمنحه أيضا نعمة الروح القدس.

لو يدرك البشر مقدار حب السيد لنا، لكانوا تخلوا وانصاعوا كليا لمشيئته القدوسة ليحيوا مع الرب بسلام كمثل أولاد الملك. إن الملك يهتم بكل شيء: بالملك وبعائلته وبأولاده. أما الإبن فيحيا براحة في القصر، الكل يخدمه وهو يفرح ويسر بكل شيء ، وبدون أي غم. هكذا فكل من يسلم ذاته الى المشيئة الإلهية يحيا في السلام، راضيا بمصيره، حتى ولو كان مريضا او فقيرا او معوزا او مقهورا. يكون في هدوء وسكينة وسلام لأن نعمة الروح القدس تظلله، وعذوبة الروح القدس تعزيه، ولا يغتم الا لواحدة: ان يغضب سيده المحبوب جدا.

آه كم على الإنسان ان يحيا على وجه البسيطة حتى تسمع النفس دائما وتعرف بأنها تسكن مع الله، لأنه قال: ''لا أترككم يتامى''. انه أعطانا الروح القدس، وعلى النفس ان تحس بأن الروح القدس يحيا فيها . وحتى لو كان حضور النعمة ضعيفا، فإن النفس تحس على كل حال بحب السيد لها وهي تعرف بأن السيد حاضر فينا، وهو لنا، واننا نحن فيه وله، لكننا إذا فقدنا هذا الحس ولم نعد نحيا هذه الحالة ، فهذه هي العلامة بأننا فقدنا النعمة.

إن النفس تحس بأن السيد رغم كثرة خطاياها. كمثل الأيام التي قال فيها السيد لزكا: ''يا زكا اليوم يجب ان أتعشى عندك'' (لو ١٩: ٥)، وذلك فقط لأن زكا أراد رؤية المسيح. اليوم ايضا يمكن ان يحدث الشيء نفسه للخاطئ، اذ ترتد نفسه وتعود الى الله. اما في عصرنا هذا، فإن الناس تحولوا عن الطريق القويم وصاروا قساة القلوب ومتصلبين، ولم يعد في الكون حب، لذلك ايضا لا يحسون بحب الله لهم، وذلك بسبب قساوة قلوبهم. يفكر البشر بأن الله مثلهم، وهم في بعض الأحيان يضيعون الإيمان بالله كليا.

آه! لو كان مستطاعاً لي أن اظهر لهم السيد لكنت قلت لهم: ''انظروا، هذا هو السيد. ففي حضرة حبه تصير النفس وكأنها الشمع الذائب''. لكن ليس باستطاعتنا اكتشاف هذا الحب، ولا بذكائنا، فإننا لا نعرف ذلك الحب الا بالروح القدس.

يا سيد امنحني سكب الدموع على نفسي ولأجل العلم كله، حتى تعرفك كل الشعوب، وتحيا معك الى الأبد. يا سيد، اجعلنا ان نكون اهلاً لنعمة الروح القدس الوديعة المتواضعة حتى نتمكن من فهم مجدك.

روحي تتألم، وإني اسكب فيض العبرات: في داخلي رأفة على البشر الذين لم يدركوا بعد عظمة وعذوبة ووداعة القلب المتواضع.

في نفسي شهوة كبيرة: ان تظلّل رحمة السيد جميع البشر، حتى يدرك العالم بأسره ويعرف الناس بأي حنان يحبّنا السيد...انه يحبّنا مثل أولاده الأعزاء جداً.

القديس سلوان الآثوسي